

مدينة ميلة الإسلامية بين النصوص التاريخية والآثار المادية

د. عبدالحق معزوز
أستاذ محاضر بمعهد الآثار جامعة الجزائر

الملخص

عنوان المداخلة : ميلة الإسلامية .
بين النصوص التاريخية والشواهد المادية .
تهدف هذه الدراسة إلى إبراز المكونات العمرانية في مدينة ميلة إبان العصر الإسلامي ، وهذا من خلال مقارنة أثرية والمصادر التاريخية ورحلات الجغرافيين ، ويتمثل اهتمامنا الأساسي في مقابلة محتوى النصوص التي تحدثت عن ميلة مع البقايا الأثرية سواء تعلق الأمر بفن العمارة أو بالعناصر المعمارية والزخرفية ، محاولين بذلك إعادة رسم المسار التاريخي باستقراء البعد الثقافي والحضاري لمختلف الخطات التاريخية للمدينة في العصر الوسيط .

résumé

P'intitulé de la communication : La medina de Mila :

Aproche archéologique et les sources historiques.

L'objectif de cette étude est de mettre en relief les composantes urbanistique de la medina de Mila à l'époque musulmane, et ceci à travers une approche archéologique et les sources historiques. Notre souci majeure est de confronter le contenu des sources anciennes avec les trouvailles archéologiques, qu'ils soient architecturales ou architectoniques.

Nous tenterons de retracer le processus historique de la médina à travers ses strottes archéologiques en développant l'appartenance culturelles et civilisationnelle de chaque pas de son histoire.

المقدمة:

هذه الدراسة محاولة لربط العلاقة بين ما كتب عن تاريخ هذه المدينة في مختلف الكتب والمصادر التاريخية في العصر الإسلامي، ومقابلتها مع ما هو باق من آثار مادية، والمهدف من ذلك ليس فقط إعادة ترتيب الحلقات التاريخية لهذه المدينة وإنما هي أيضا إعادة كتابة وتصحيح تاريخها وذلك بالاستناد إلى الوثائق التاريخية واستغلال الشواهد الأثرية التي تعد من أهم الوثائق المادية التي لا تقبل الطعن في مصداقيتها ودلالاتها التاريخية والحضارية، وعليه فإن مثل هذه المقاربات ستؤدي بلا شك إلى معرفة الأحداث التاريخية الصحيحة التي مرت بها المدينة خلال العصر الوسيط.

I - النصوص التاريخية

1 - الموقع الفلكي والجغرافي للمدينة:

أ- **الموقع الفلكي:** تقع ميلة فلكيا على خط طول $34^{\circ}36'4''$ شرق خط غرينيتش، وعلى خط عرض 50.36° شمال خط الاستواء.

ب- **الموقع الجغرافي:** تقع ميلة جغرافيا فيما يعرف بالقطاع الشرقي من الجزائر، تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 450 كلم إلى الشرق، وعن مدينة قسنطينة بحوالي 35 كلم جهة الشمال الغربي. ترتفع المدينة فوق قمة جبل متوسط الارتفاع (464م) يعرف في المصادر القديمة (ببوية)* إن انحصار المدينة بين وادين، وتربعها على ربوة

تقع ميلة على سفح جبل (مارشو) الذي يوفر لها الحماية من جهة الجنوب ويزودها بالماء الشروب، يجعلها بفضل موقعها الاستراتيجي هذا إلى حد ما، في مأمن من الاعتداءات الخارجية، ويحميها من هجمات الأعداء، كما يؤمن لها الماء العذب ويوفر لها الغذاء من خضر وفواكه وحبوب باعتبارها منطقة زراعية من الدرجة الأولى، نظرا لتوفر الماء لأن المنطقة تعرف تساقط الأمطار بكثرة من جهة، ونظرا لخصوبة أرض المنطقة التي تنتج الكثير من المنتجات الزراعية من جهة ثانية.

وعن خصوبة أرضها ووفرة الماء والغذاء فيها يقول البكري (ق5هـ/11م): «...وحوها رضى وبها جوامع وأسواق وحمامات ومياه تطرد حولها...، إلى أن يقول: ... ويليه داخل المدينة عين تعرف بعين أبي السباع مجلوبة تحت الأرض من جبل بني ياروت يشق منها سوقها ساقية فإذا قل الماء في الصيف أجرين يوم السبت والأحد من الجمعة لا غير ولها حمامات في ربتها وبها عين تعرف بعين الحمى يرش بها على المحموم فيبرأ لبركتها وشدة بردها...»¹.

أما الإدريسي (ق6هـ/12م) فيصفها بقوله: «... كثيرة الأشجار ممكنة الثمار وفواكهها كثيرة ومحاسنها ظاهرة ومياهها عذبة...».

وأما صاحب كتاب الاستبصار (ق6هـ/12م) يقول عنها: «وهي الآن عامرة أهلة كثيرة الخصب رخيصة السعر على نظر واسع وقرى عامرة وميلة كثيرة الأسواق والمتاجر...». وعن خصوبة جبالها يقول «وبالقرب من ميلة جبل عنصل يسمى اليوم جبل زلدوي...، إلى أن يقول: ... وأخصب جبال إفريقية وفيه جميع الفواكه من التفاح الجليل، والسفرجل الذي لا يوجد مثله في بلد والأعناب كثيرة»². ويصفها صاحب كتاب الاستبصار بقوله: «كثيرة الخصب رخيصة السعر...» وفي وسط المدينة عين خزار عذبة من بناء الأوائل لها سرب كبيرة يدخل فيه فلا يوجد له آخر»³.

تحتل مدينة ميلة أهمية كبيرة من الناحية الإستراتيجية والإدارية والعسكرية والاقتصادية لكونها تقع في الخط الدفاعي الأمامي الإفريقي، الذي يمتد من نهر مجردة شرقاً إلى نواحي سطيف غرباً.⁴

ويؤكد ذلك البكري بقوله «...وهي من غرر مدن الزاب...»⁵. أي أنها تقع في مقدمة المدن التابعة لإقليم الزاب من جهة الشمال الغربي، ومنها تسير إلى مرسى الزيتونة وهو مرسى مدينة جيجل. وأما الإدريسي فيضعها شرق الحصنة حيث يقول إنها تقع: «إلى الشرق من مدينة قلعة بني حماد وهي على بعد أربع مراحل منها»⁶.

ويقول بشأنها ياقوت الحموي: «هي آخر إقليم إفريقية بينها وبين بجاية ثلاث أيام...، وبينها وبين قسنطينة يوم واحد»⁷.

ويرى عبد الواحد المراكشي بأنها: «من المغرب غرب إفريقية فأول بلدة صغيرة قبل بجاية في البر، تسمى ميلة وبينها وبين بجاية ثلاث مراحل»⁸. وقوله من المغرب يقصد الجهة الغربية من إفريقية وهي المغرب الأوسط.

ونستنتج من خلال ما ذكره الرحالة والجغرافيون من أوصاف لهذه المدينة أن مدينة ميلة كانت من أهم حواضر المغرب الأوسط، مياها وافرة وكثيرة، وأنها كانت منطقة فلاحية بالدرجة الأولى تتمتع بنشاط زراعي كبير، لاحتواء أرباضها وأحواضها على أراض خصبة تنبت ألوانا كثيرة من أشجار الفواكه التي لا توجد في بلدان أخرى كالسفرجل والتفاح الجليل والأعتاب، فضلا عن المحاصيل الزراعية المتنوعة. وهو ما وقف عليه الجغرافي حسن الوزان (1483-1526م) الذي وصفها بقوله: «... ويكثر في البلاد التفاح والإجاص وغيرهما من الفواكه...، كما يكثر فيها القمح أيضا...»⁹. وكانت بها أسواق ومتاجر كثيرة وعامرة مما يدل على أن بها تجارة نافقة مزدهرة، وقد أكدده صاحب كتاب الاستبصار بقوله: «كثيرة الخصب رخيصة السعر»¹⁰. خاصة وأنها تتوسط الكثير من الحواضر الداخلية منها والساحلية، حيث تقع في ملتقى الطرق التي تربطها بهذه الحواضر كمدينة قسنطينة وسطيف وطبنة

وجيحل وبجاية وغيرها، ولعل ما يؤكد هذا الأمر، ذلك الحديث الذي أجراه الداعية الشيعي أبو عبد الله الصنعاني مع طائفة من أهل كتامة عندما اجتمع بهم في موسم الحج، فسألهم عن أهم الأمصار القريبة من موطنهم، فقالوا ميلة إلى جانب سطيف وبلزمة¹¹. مما دل على أنها كانت من أهم مدن المغرب الأوسط في عهد الأغالبة، وقد استمدت أهميتها من الناحية الإستراتيجية والإدارية والعسكرية والاقتصادية كما سبقت الإشارة بفضل موقعها الجغرافي والسياسي بحكم وقوعها على الخط الدفاعي الأمامي الإفريقي¹². في مقابل القوى الغربية من أدارسة ورستميين.

2 - تأسيس مدينة ميلة:

أ- ميلة في العصر القديم:-

لقد كانت ميلة (ميلاف) وهو الاسم الشائع في العصر القديم ضمن ممتلكات المملكة النوميدية، ويعني هذا الاسم المشكل من كلمتين ميل وآف (Milev) ألف عين، وقد عرفت بعدة أسماء مثل: «ميلوفيثانا» و«ميلوفيوم» و«ميليوم» و«ميليوس»¹³. وفي عام 203 ق.م استولى الملك ماسينيسا على سيرة واضعا بذلك حدا لمملكة المصايسيل. وفي عام 46 ق.م منح الأمبراطور قيصر الجزء الشرقي لمملكة يوبا الأول إلى القائد الروماني ستيوس الذي وزع المستعمرات السرية الأربعة وهي سيرا (قسطنطينة)، روسيكادي (سكيكدة)، شولو(القل)، وميلاف(ميلة) على أتباعه من الجيش الروماني. وفي عام 256م أصبح لمدينة ميلة أسقف. وفي عام 336م ألف الأسقف أوبط المولود بميلة كتابا ندد فيه ببطلان الديانة الدونانية¹⁴. وابتداء من عام 431م أصبحت ميلة في يد الواندال إلى غاية عام 534م تاريخ انتصار البيزنطيين واستردادها منهم، وفي عام 439 م حُصنت مدينة ميلة بحصن بيزنطي يحتوي على 14 برجاً، مازالت أجزاء كثيرة من بقايا السور والأبراج قائمة إلى يومنا هذا، وظلت المدينة تحت حكم البيزنطيين إلى أن أنتزعتها منهم الفاتحون المسلمون بقيادة القائد العربي أبو المهاجر دينار في بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري.

ب- ميلة في العصر الإسلامي:-

اقترن ذكر مدينة ميلة لأول مرة في العصر الإسلامي باسم الفاتح العربي أبو المهاجر دينار، حيث يعزى فتح هذه المدينة على يد هذا القائد العربي عام 60هـ -/680م.

ولي أبو المهاجر دينار على إفريقية عام 55هـ/678م خلفا للصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري وابتنى مدينة على بعد ميلين من القيروان أمهما تيكروان. ثم سار إلى الجزائر عن طريق بسكرة وفتح عمالة قسنطينة سنة 59هـ، وجعل مركز قيادة عليا مدينة ميلة فابتنى بها دار إمارة وجعلها ملاصقة للجامع ومكث بها سنتين¹⁵. وهو ما وقف عليه البكري حيث قال: «وبها جامع» من دون ذكر دار الإمارة. وهكذا يكون هذا القائد هو أول من وطئت قدماه المغرب الأوسط، وحظيت بذلك الجزائر طيلة هذه المدة بشرف إمارة شمال إفريقية، ومنها تقدم في فتوحه إلى أحواز تلمسان¹⁶.

وقد عرفت مدينة ميلة محطات تاريخية هامة في العهد الإسلامي أهمها انتفاضة سكان ميلة على الحاكم الزيري المنصور بن علي الفتوح عام 378هـ/988م، والتي انتهت بدم سورها ونفي أهلها إلى مدينة باغاي. ولعل من أهم الشخصيات التاريخية الدعوية والسياسية التي لعبت دورا بارزا في تاريخ المغرب الأوسط وإفريقية والتي نزلت بميلة، الداعية الشيعي عبد الله الصنعاني، الذي قصد حمامها للتداوي من علة من حصاة كانت تعتريه، فترل بفندق بها كان لفرجون مولى موسى بن العباس¹⁷. ولكن الداعية استطاع أن يفلت من قبضة الحاكم موسى بن العباس بتواطؤ مولى موسى من الحاكم بعدما افتضح أمره في المدينة. وكانت ميلة وقتذاك تابعة لإفريقية التي كان يحكمها بنو الأغلب الذين يدعون على المنابر لبني العباس، ويقول البكري أنها كانت من غرر مدن الزاب¹⁸. كما كانت ثابتة على ولائها لسلطة القيروان، وكان بها ممثل لولاية طبنة عاصمة إقليم الزاب الذي كانت ميلة تابعة إليه، وقد لعبت حاميته بقيادة مالك بن المنذر دورا هاما في قمع ثورة ابن الجارود وفي القضاء على ثورة الخوارج الصفرية¹⁹.

وفي مطلع القرن 5هـ / 11م استعادت المدينة حيويتها ونشاطها التجاري في ظل الحكم الحمادي إلى أن سقطت بسقوط الدولة الحمادية في يد الموحدين عام 547هـ. ولم تبرز ميلة في ذلك العهد كحاضرة ذات سيادة وإنما كانت تابعة لمدينة قسنطينة التي كانت في ذلك الوقت من أهم مدن المملكة، علاوة على كونها مقرا للحاكم، ومن أهم الحكام الذين تداولوا على حكمها؛ بلبار عم الأمير المنصور، والأمير سبع بن العزيز، وأبي يحيى بن المحسن بن القائد بن حماد، وصليصل بن الأحمر بن الأثنج، والحسن بن العزيز. وفي عام 548هـ / 1153م، استسلم الأمير يحيى بن العزيز الذي فر إلى بقسنطينة بعد سقوط بجاية ونزل عن عرشه للخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي. ودامت تحت سيطرتهم حوالي سبعين عاما، وكانت تابعة لمقاطعة بجاية التي ألحقت بأعمال تونس²⁰. وفي سنة 617هـ / 1230م غزا أبو زكريا يحيى الخفصي مدن الشرق الجزائري قسنطينة وبجاية وأعلن استقلاله عن الدولة الموحدية وأقام دعوة الخفصيين.

وكان حال ميلة حال المد والجزر يتخطفها الأقوى، ففي 1394م استولى المرينيون على قسنطينة ثم ميلة. وفي عام 1357م دخل أبو موسى الزياني منتصرا على ميلة. وفي سنة 981هـ / 1573م سقطت في يد الدولة العثمانية، وصارت تابعة لقسنطينة عاصمة بايليك الشرق وظلت على تلك الحال حتى دخلها الفرنسيون عام 1837م.

3 - سكان ميلة:

ليس إلى الشك سبيلا في أن سكان ميلة هم من قبائل كتامة البربرية وإن لم يحدد الرحالة والجغرافيون تحديدا دقيقا العنصر البشري الذي كان يقطن هذه المدينة. فإن البكري والشريف الإدريسي والمجهول صاحب كتاب الاستبصار قد أشاروا إلى أهل هذه المدينة. من ذلك ذكر البكري أن في وقته كان : «يسكنها العرب والجنود والمولدون». أي خليط من العناصر البشرية، وأما الإدريسي فقد أعطانا مقتضبا عن سكانها فقال : «وأهلها أخلاط البربر جملة والعرب تحكم بخارجها»²¹. وهو ما أكدته

صاحب الاستبصار بقوله: «وهم قبائل كثيرة من البربر سكنوا الجبل». ورغم أن كلام المجهول خاص بسكان جبل عَنَصَل أو زَلْدَوِي القريبان من المدينة. فإن ذلك لا يتعارض إطلاقاً مع قول الإدريسي، وبعض المؤرخين أمثال ابن خلدون، إذ أن هذه المنطقة عرف عنها أنها إحدى مراتض قبيلة كتامة البربرية. وهو ما يؤكد هذا الأخير الذي يحدد مواطنهم بين القل شرقاً وإقليم سطيف غرباً بما في ذلك ميلة وقسنطينة. والجدير بالذكر أن الإدريسي استعمل كلمة أخلاط البربر جملة تماماً مثل البكري، وهو ما يوحي من قوله أن سكانها في القرن السادس الهجري هم مزيج بين مختلف القبائل البربرية من كتامة وغيرها من القبائل البربرية الأخرى بما فيها العرب.

II - المعالم الأثرية لمدينة ميلة:

ما زالت مدينة ميلة تحتفظ بالقليل من معالمها الأثرية القديمة، ولأن حافظت على مظهرها الفيزيائي ونسيجها المعماري مثل الطرق والشوارع والدروب، فإنها لم يكن باستطاعتها الحفاظ على طابعها المعماري القديم، وما بقي منها لا يتعدى عمره نهاية الفترة العثمانية أو أكثر بقليل على أكثر تقدير، ومن أهم البقايا التي حافظت عليها المدينة؛ الشوارع والتحصينات الدفاعية، مثل السور والأبواب والمسجد العتيق الذي خضع بدوره إلى تغييرات شتى في مختلف العصور شأنه شأن المدينة.

1 - المدينة :

شيدت المدينة الإسلامية على أنقاض الحصن والمدينة الرومانية القديمة داخل السور البيزنطي. تبلغ مساحتها حوالي 7.20 هكتار، ومحيطها 1495 ميل وعدد سكانها في الوقت الحالي 1386 نسمة، تبلغ الكثافة السكانية 51 مسكن في الهكتار الواحد. حوالي 26% من بناياتها تعرضت للهدم. و65% منها ما زلت مسكونة.

يخترق المدينة الحديثة شارعان رئيسيان الأول يربط بين الباب الغربي والباب الشمالي والثاني ينطلق من الباب الغربي يلف بالمدينة من جهة الجنوب ليعرج إلى الناحية

الشرقية نزولاً حتى يلتقي مع الشارع الأول عند مدخل الباب الشمالي (الخريطة...). يبلغ متوسط عرض الشوارع الكبيرة حوالي ستة أمتار، ومن الشوارع الرئيسة تنفرع أزقة ودروب ضيقة تخترق مختلف الأحياء لا يتعدى عرضها الأربعة أمتار.

2 - السور:

يحيط بالمدينة سور ضخيم من الحجارة، يقول عنه البكري: «...عليها سور صخر اليوم...»²². ويصفه صاحب الاستبصار بقوله: «...عليها سور صخر جليل من بناء الأولين...»²³. أي أن السور مشيد من الصخور أو الحجارة الكبيرة الحجم التي تعود إلى العصر الروماني أو البيزنطي، يتخلل السور أبراج للمراقبة وعددها في الوقت الحالي أربعة عشر برجاً (الخريطة...). تخترق الأجزاء العلوية للسور فتحات تسمى «المازغل» كانت تستعمل للدفاع عن المدينة حيث تطلق منها السهام والمواد السائلة وغيرها من الأسلحة لردع العدو (الصورة...). يذكر البكري أن هذا السور هدمه الخليفة المنصور في شوال عام 378هـ/989م، بعد ثورة كتامة فقال: «...بعد أن عبأ جيوشه لمحاربتها فلما رأى من خرج إليه منها بكى وأمر أن لا يقتل من أهلها أحد وأمر بدم سورها وتسيير من فيها إلى مدينة باغاية...»²⁴.

ج- الأبواب:

تعتبر مدينة ميلة مثلها مثل قسنطينة من المدن القلائل في المغرب الأوسط التي تحتوي على بابين فقط في العصر الحمادي وقبله، وما زلتا قائمة إلى يومنا هذا، وهي عبارة عن مداخل مبنية على شكل أقواس باب في الجهة الغربية والثاني في الجهة الشمالية (الصورة...). وقد جاء في وصف البكري للمدينة ذكر لبابين واحدة في جهة الشرق بالقرب من الجامع الملاصق للقصر والثاني جوفي يليه عين أبي السباع. فقال: «وللمدينة باب شرقي يعرف بباب الروس وعلى مقربة منه جامعها وهو ملاصق لدار الإمارة وباب جوفي يعرف بباب السفلي...»²⁵. ويسمىها بوروية باب الحما²⁶. غير أن الإشكال المطروح الآن هو وجود باب يقع إلى الجزء الغربي من المدينة الحالية

يسمى باب البلد، وباب آخر في الجهة الجنوبية محاذيا للثكنة العسكرية وهو الآن مغلق، بينما الباب الشرقي لم يعد موجودا، مما يعني أن المخطط القديم للمدينة في القرن الرابع الهجري ليس هو المخطط الحالي لها، ومن ذلك نستنتج أن الأبواب التي تكلم عنها البكري لم يبق منها اليوم إلا الباب السفلي، بينما الباب الشرقي المعروف بباب الروس لم يعد موجودا الآن ربما أغلق أو أزيل بسبب التوسع العمراني الذي عرفته المدينة خلال مراحلها التاريخية اللاحقة. لا شك وأن المدينة عرفت توسعا عمرانيا كبيرا خاصة في العصر الحمادي الذي عرفت فيه المدينة استقرارا سياسيا في ظل الحكم الحمادي فنتج عنه ازدهارا تجاريا ذكره الإدريسي في القرن السادس الهجري. علاوة على الخراب والدمار الذي لحق بها وبسورها في عام 370هـ على يد المنصور ربما كان ذلك سببا في تغيير خريطة المدينة والصور وأبوابه بعد إعادة البناء والتوسع العمراني في القرون الموالية.

3 - الجامع العتيق أو مسجد سيدي غانم:

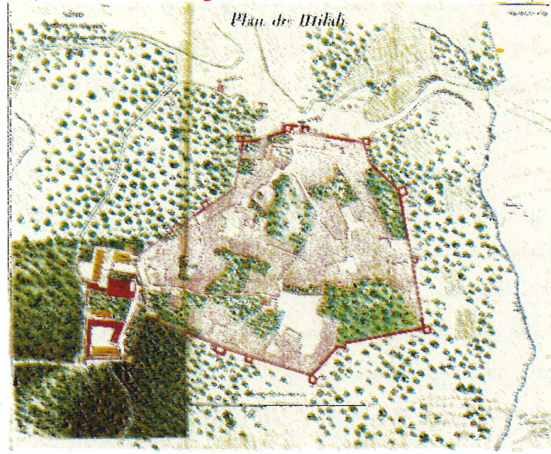
يقع مسجد ميلة العتيق المعروف الآن بمسجد سيدي غانم داخل السور البيزنطي جنوب غرب المدينة عند المدخل الغربي (لوحة 1، ص 1). وحسب المصادر التاريخية فقد كان ملاصقا لدار الإمارة وبالقرب منه الباب الشرقي أو باب الروس، وهو من بناء أبو المهاجر دينار في مطلع الستينيات من القرن الأول الهجري كما ذكرنا سالفا. وكغيره من المساجد اتخذ له شكلا مستطيلا تبلغ قياساته 26م × 18.3م، وهو متجه من الشرق إلى الغرب وفق مخطط المبنى القديم الذي بني فوقه، وبذلك تكون مساحة بيت صلاته 475.8م². تتكون بيت الصلاة ذات الشكل المستطيل من سبع بلاطات عمودية على جدار القبلة متساوية الأبعاد، وأربعة بوائك موازية له محددة على المخطط بنقط زرقاء (لوحة 1، ص 2)، وذلك قبل أن تعرف بيت الصلاة توسعة بإضافة بلاطة على يمين المحراب جهة الغرب وبائكتين، واحدة جهة الجنوب خلف المحراب والثانية جهة الشمال لتصبح بذلك بيت الصلاة مكونة من ثماني بلاطات وستة بوائك. وبعد هذه الزيادة لاشك وأن محرابا جديدا يكون قد استحدث خلف

المحارب القديم وهو احتمال قائم رغم غياب أدلة مادية تدعم هذا الاتجاه، كما لا نستبعد أن يكون الباب الذي يقع على نفس المحور الذي يقع فيه المحارب القديم هو مكان المحارب الجديد بعد الزيادة (لوحة 1، ص. 3)، وحيث أن الرفوع والمخططات الفرنسية المنجزة بعد الاحتلال في الموقع بالذات، تشير إلى جدار ذي تخطيط ومقطع دائري، فإن هذا يؤكد صحة الفرضية السابقة، ذلك أن موقع المحارب وشكله لا يتعارضان مع ما هو متداول في وقتنا هذا.

بعد هذا العرض الموجز لتاريخ المدينة وآثارها يتضح أن مدينة ميلة عريقة في التاريخ سواء في الفترة القديمة أو في الفترة الإسلامية، حيث برزت على مسرح الأحداث التاريخية منذ الفترة الأولى لفتح بلاد المغرب، وحسبها أنها تأمرت المغرب لمدة سنتين، ويكفيها شرفا احتضان دار الإمارة التي كان يدير منها أبو المهاجر دينار بلاد المغرب، حيث اتخذها كقاعدة لفتح ما وراءها من أمصار وأرباض ومدن ناحية الغرب، ويكفيها فخرا أيضا أنها تحتوي على أقدم مسجد في المغرب الأوسط، وثاني مسجد في المغرب والأندلس بعد القيروان بإفريقية (تونس)، وهو الجامع الذي صار يعرف في وقتنا هذا بجامع سيدي غانم، وإن كان حاله اليوم خراب بفعل عوامل الزمن والإهمال من طرف الإنسان، فما بقي منه مازال يروي بعضا من الأحداث التاريخية لهذا المسجد العتيق كما يسميه أهل البلدة، كما أن ما تبقى من آثاره ما زال يحمل بعض البصمات الفنية للكثير من الدول التي تعاقبت على المغرب العربي عامة وبلاد المغرب الأوسط بصفة خاصة ولا سيما الحماديون والحفصيون والعثمانيون. الذين ما زالت ملامح فنهم بادية للعيان والتي يمكن ملاحظتها أو استقراؤها من خلال بقي من شواهد مادية وخاصة في الأعمدة والتيجان والمحارب والمخطط العام لبيت الصلاة، والتي تؤكد أنها حمادية بينما تدل الزخارف الكتابية على المدخل الرئيسي، وهي كتابة كوفية مزورة أنجزت بقطع الآجر الأحمر على يمين ويسار المدخل، نقرأ فيها عبارة «بركة محمد»، وكلمات أخرى أتلفت ولم يبق منها سوى بعض الحروف المتفرقة التي تصعب قراءتها.

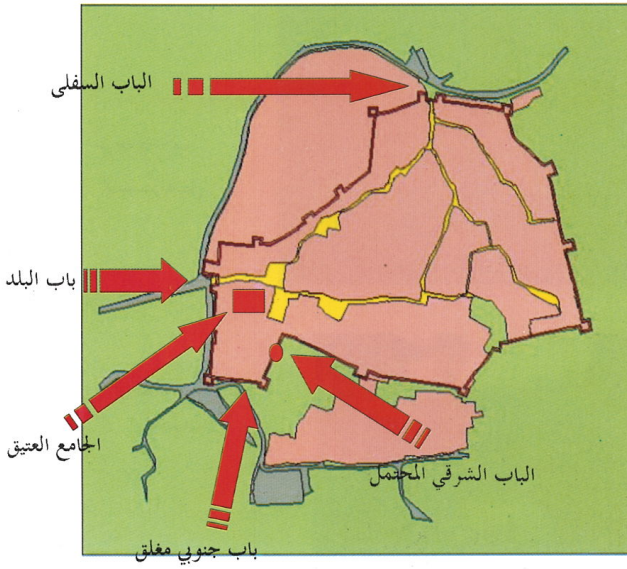
وتعود هذه الكتابة إلى الفترة الموحدية أو الحفصية لما آل مصير المدينة إلى هذه الدولة بعد سقوط الموحدين خلال القرن السابع الهجري. وتجدر الإشارة أن هذه العبارة قد كثر استعمالها في العصر الموحي وفي عهد ورثتهم الحفصيين والمرينيين والزيايين ثم العثمانيين، وعلى الرغم من أن أول استعمال لها في المغرب الأوسط يعود إلى العصر الحمادي.

وعلى الرغم مما تحمله هذه المدينة من أبعاد تاريخية وحضارية لا تكاد حلاقتها تنقطع منذ العصور القديمة، إلا أنها للأسف لم تحفظ لنا الزمن من معالم وحضارة هذه المدينة سوى القليل جدا، الذي لا يعكس بالمرّة الوجه الحقيقي لتاريخها السياسي والحضاري، وستترك الفرصة للزمن وحده الكفيل بالكشف يوما ما عن ما أخفاه الزمن، وتتجلى بذلك الحقيقة المكتومة لهذه المدينة الأزلية.



لوحة 1: مخطط مدينة ميلة

Structure urbaine



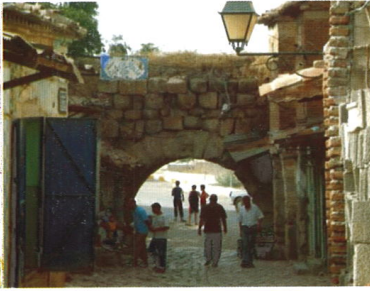
لوحة 2 : محيط مدينة ميلة وأبوابها



لوحة 3: الباب السفلي



لوحة 3 - ب:
المزاعل



لوحة 4: مدخلان
لمدينة ميلة



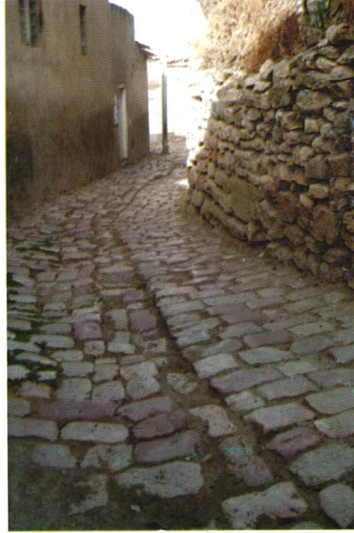
الباب العلوي



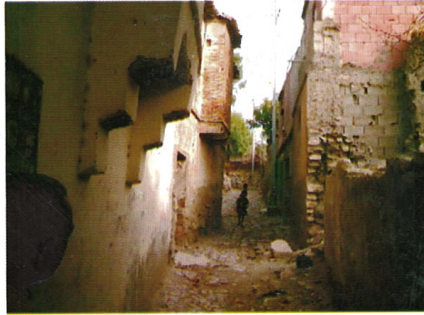
لوحة 5 أ :
أعمدة وأقواس بيت
الصلاة لجامع ميلة

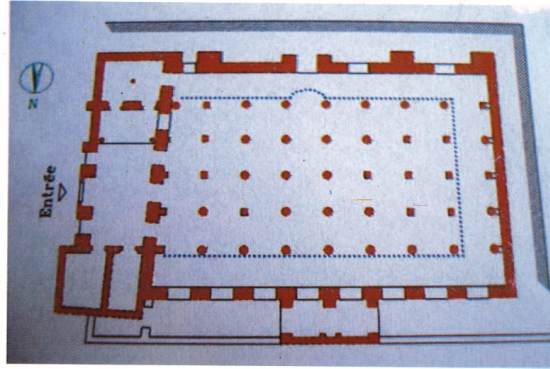


لوحة 5 ب :
العين الرومانية



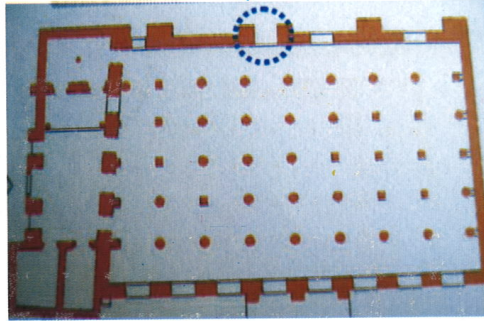
لوحة 6: شارعان رئيسيان





لوحة 7: مخطط الجامع (بيت الصلاة قبل الزيادة بالأزرق)

لوحة 8: المحراب الثاني المفترض بعد الزيادة



ع/ مكتب دراسات ميلة لعرا بوبوحو

الهوامش

- * ناصر الدين سعيدوني. - دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1985 - ص 21.
- 1 - البكري (أبو عبيد). - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك، مكتبة أمريكا والمشرق، أدريان ميزوناف، باريس 1963. ص 64.
- 2 - الإدريسي (لشريف). - وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه ونشره هنري بيريس، الجزائر 1372هـ / 1957م ص 66.
- 3- المجهول. - كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تقدم الفريد دو كريد. فيينا. المطبعة الملكية - 1852ص. 166. وانظر أيضا فيلالي (عبد العزيز). - مدينة ميلة التطور التاريخي في العصر الإسلامي الوسيط. م. ج. ق. ع. 4. عدد 4. 1993. ص 84.
- 4 - المجهول. - كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تقدم الفريد دو كريد. فيينا. المطبعة الملكية - 1852ص. 166.
- 5 - CAMBUZAT(PL), Levolution des cites du tell en ifriquia. du 7 au 11 siecle opu Alger. 1982. p. 166.
- 6 - البكري. - نفسه، ص 64.
- 7 - الإدريسي. - نفسه، ص 67.
- 8 - ياقوت الحموي (شهاب الدين)، معجم البلدان. ص 226. الجزء 08. القاهرة 1906: - وانظر كذلك - المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب. تحقيق سعيد العريان. القاهرة 1963. ص 442.
- 3 - المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب. تحقيق سعيد العريان. القاهرة 1963. ص 442.
- 9 - الوزان الفاسي (حسن بن محمد) المشهور بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج 2، (تر) د/محمد حجي ود/ محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت 1983، ص 60.
- 10 - المراكشي، المرجع نفسه، ص 166.
- 11 - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، (تح) فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، ص 36. - عبد الرحمان الجيلالي. - تاريخ الجزائر العام، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 7، 1415هـ / 1994م، ص 235.

- 12- CAMBUZAT(PL),Levolution des cites du tell en ifriquia. du 7 au 11 siecle opu
Alger.1982.p.166.
- 13 - Gsel (St). Atlas Archéologique de l' Algerie, T.I, 2eme éd. A.N.APS.M.H,
feuille17, p.3-
- 14 - S.Gsel, Op.cit.,p3.
- 15 - أبو المحاسن (ابن ثعري بردي).- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج1/152:- عبد
الرحمان الجليلي.- المرجع السابق، ج127/1:- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة
رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، ط.1، 1980، ص.33:- وانظر عبد العزيز
(سالم)، المغرب الكبير. ج.2. العصر الإسلامي. دار النهضة العربية بيروت 1989 ص 216.
- 16 - عبد الرحمن الجليلي.- نفسه. ج1/128، :- محمد شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي،
ط.1، 141 دار الفتح للطباعة والنشر.
- 17 - البكري.- المرجع السابق، ص.64. :- عبد الرحمن الجليلي.- نفسه. ج1/249.
- 18 - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة الوطنية للتوزيع تونس
ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص.50-51.
- 19 - البكري.- المرجع السابق، ص64.
- 20 - د/موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، (ش.و.ن.ت)، الجزائر
1979، ص.188.
- 21 - عبد الرحمان الجليلي.- المرجع السابق، 11/2.
- 22 - البكري.- المصدر السابق، ص64.
- 23 - الإدريسي.- المرجع السابق، ص.67.
- 24 - ابن خلدون عبد الرحمان.-.....
- 25 - البكري.- المصدر السابق، ص64.
- 26 - المجهول.- المصدر السابق، ص 166.
- 27 - البكري.- المصدر السابق، ص64. الجليلي.- المرجع السابق، 1/249.
- 28 - نفسه، ص64.
- 29 - Bourouiba (R).- Les Hammadites, ENAL, Alger 1984,P134.

مصادر ومراجع البحث:

- الأدريسي (الشريف) وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر هنري بيريس، الجزائر 1372هـ/1957م، ص. 66-67
- البكري كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من أجزاء كتاب المسالك والممالك، مكتبة أمريكا والمشرق، ميزوناف 1956، ص. 64.
- أبو المحاسن (ابن ثعري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. الولايات المتحدة. جامعة كاليفورنيا 1909، ص.
- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة الوطنية للتوزيع تونس ط. 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص. 50-51.
- سيد أحمد باغلي ومنير بوشناق، أبحاث وأعمال، مجلة الآثار الجزائرية العدد. 5، 1971-74، ص. 11.
- عبد العزيز (سالم)، المغرب الكبير. ج 2. العصر الإسلامي. دار النهضة العربية بيروت 1989 ص 216.
- المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق سعيد العريان. القاهرة 1963. ص. 442.
- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تقدم الفريد دوكريميد. فيينا. المطبعة الملكية -1852ص. 166.
- المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق سعيد العريان. القاهرة 1963. ص. 442.
- موسى لقبال، دور كنامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، (ش.و.ن.ت)، الجزائر 1979، ص. 188.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين)، معجم البلدان، ج. 5، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ/1984م، ص. 244.
- CAMBUZAT(PL),Levolution des cites du tell en ifriquia. du 7 au 11 siecle opu Alger.1982.p.166
- S.Gsel, Atlas Archéologique de l' Algerie,feuille17 p.3-4.
- Rachid Bourouiba, L'art Religieux Musulman En ALGERIE , 26 éd. SNED Alger1981 p..XVII.
- Projet de restauration de la mosquée sidi Ghanem de Mila ,bureau d'étude Laraba d' Bouhouhou, Chef de projet, Boulkroun, Nov. 2005.